



تقدير موقف

زيارة سامح شكري إسرائيل: أوجه التطبيع المتنامي وسقف الدور المصري

وحدة تحليل السياسات في المركز العربي | يوليو 2016

زيارة سامح شكري إسرائيل: أوجه التطبيق المتنامي وسقف الدور المصري

سلسلة: تقدير موقف

وحدة تحليل السياسات في المركز العربي | يوليو 2016

جميع الحقوق محفوظة للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات © 2016

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات مؤسسة بحثية عربية للعلوم الاجتماعية والعلوم الاجتماعية التطبيقية والتاريخ الإقليمي والقضايا الجيوستراتيجية. وإضافة إلى كونه مركز أبحاث فهو يولي اهتماماً لدراسة السياسات ونقدها وتقديم البدائل، سواء كانت سياسات عربية أو سياسات دولية تجاه المنطقة العربية، وسواء كانت سياسات حكومية، أو سياسات مؤسسات وأحزاب وهيئات.

يعالج المركز قضايا المجتمعات والدول العربية بأدوات العلوم الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية، وبمقاربات ومنهجيات تكاملية عابرة للتخصصات. وينطلق من افتراض وجود أمن قومي وإنساني عربي، ومن وجود سمات ومصالح مشتركة، وإمكانية تطوير اقتصاد عربي، ويعمل على صوغ هذه الخطط وتحقيقتها، كما يطرحها كبرامج وخطط من خلال عمله البحثي ومجمل إنتاجه.

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

شارع رقم: 826 - منطقة 66

الدفنة

ص.ب: 10277

الدوحة، قطر

هاتف: +974 44199777 | فاكس: +974 44831651

www.dohainstitute.org

المحتويات

1	مقدمة
1	هدف الزيارة وتوقيتها
2	سقف جديد للتطبيع
4	رهانات ملتبسة
6	خاتمة

مقدمة

في العاشر من تموز / يوليو 2016، قام وزير الخارجية المصري سامح شكري بزيارة إلى القدس المحتلة، التقى خلالها رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو. وعلى الرغم من أنّ الهدف المعلن لزيارة شكري بحسب المتحدث باسم الخارجية المصرية هو "توجيه دفعة لعملية السلام الفلسطينية الإسرائيلية"، فقد أثار هدف الزيارة وتوقيتها تساؤلات جدية، في ظل شكوك عميقة تحيط بنية إسرائيل خوض مباحثات جدية مع الطرف الفلسطيني في هذه الفترة، بخاصة في ضوء رفض نتنياهو المبادرة العربية أساساً للسلام¹، وعدم تعامله مع هدف الزيارة المعلن بجدية؛ إذ قامت حكومته في يوم الزيارة بإقرار خطة جديدة لتوسيع المستوطنات في الخليل². وعموماً سبق أن فضّلت إسرائيل التحرك المصري على المبادرة الفرنسية، وذلك بالضبط لعدم توافر أفكار محددة فيه، ولأنّه لا يستند إلى أيّ مرجعيات دولية واضحة.

هدف الزيارة وتوقيتها

بدأ الجانب الإسرائيلي مهتماً بفكرة الزيارة ذاتها وعودة التطبيع مع مصر التي لا يخفي تأييده لنظامها، ويتناول ملفات محددة تحقق له مكاسب سياسية سريعة مثل الإفراج عن جنود أسرى، أو استعادة رفات جنود قتلى، بدلاً من الانخراط جدياً في عملية سلام حقيقية، بما يترتب عليها من انسحابات ووقف للاستيطان ومناقشة موضوع القدس، وغيرها. ويبدو أنّ المسعى الإسرائيلي كان في قلب زيارة شكري القدس المحتلة، حيث عرض توطّ القاهرة لدى حماس في إطار عملية تفاوضية تحت شعار "بناء الثقة"،

¹ Barak Ravid, "Netanyahu: Israel Will Never Accept Arab Peace Initiative as Basis for Talks with Palestinians," *Haaretz*, 13/06/2016, accessed on 13/07/2016, at: <http://www.haaretz.com/israel-news/1.724725>

² "إسرائيل تصادق على خطة لدعم المستوطنات في الخليل بـ 13 مليون دولار"، *صدى البلد*، 2016/07/10، شوهد في 2016/07/13، <http://www.elbalad.news/2318977> في: http://www.elbalad.news/2318977

لإعادة رفات عدد من الجنود الإسرائيليين، وإخلاء سبيل جنديين آخرين، قيل إن حماس تحتجزهما، مقابل الإفراج عن عدد من المعتقلين من بين الآلاف ممن تحتجزهم سلطات الاحتلال الإسرائيلي.

أثار توقيت زيارة شكري تكهنات بخصوص وجود أهداف أخرى لها أيضاً؛ إذ تمت الزيارة التي لم يعلن عنها سوى عشية وصوله إلى مطار بن غوريون، بعد قمة عقدها رئيس الوزراء الإسرائيلي في عنيتي الأوغندية مع سبعة قادة دول أفريقية بينها دولٌ تشترك في حوض النيل، أعلن خلالها عن برنامج موسّع للتعاون مع هذه الدول، بما في ذلك التعاون في ملف الري وإدارة الموارد المائية المثير لقلق القاهرة، والمتعلق مباشرة بأحد أهم الأعصاب الحساسة لأمنها القومي.

وما أثار القلق أكثر هو الشق المتعلق بإقامة تعاون إسرائيلي أوسع مع إثيوبيا في هذا الملف، وهي المشتبكة في خلاف حادّ حول سد النهضة مع القاهرة، وترفض تقديم تنازلات للحدّ من آثار تخشاهها مصر على حصتها المائية. وكان ملفاً أنّ مصر لم تعلق على القمة الإسرائيلية - الأفريقية، ولم يتطرق وزير خارجيتها خلال زيارته إلى هذا التحرك الإسرائيلي في أفريقيا باعتباره يمسّ مباشرةً بأمن مصر المائي. ما عزز الشكوك في أنّ القاهرة قد تكون طلبت وساطة إسرائيلية لدفع المفاوضات العالقة مع إثيوبيا.

سقف جديد للتطبيع

لم يكن تصريح السيسي المشار إليه في بيان وزير الخارجية خلال الزيارة، الذي حثّ على "التوصّل إلى حلٍ شامل وعادل للقضية الفلسطينية"، ولا دعوة سابقة تزامنت مع ذكرى النكبة الثامنة والستين، دعا فيها السيسي إلى ما أسماه "سلاماً دافئاً" مع إسرائيل³، من الإشارات الأولى إلى حصول تغيير في بوصلة السياسة المصرية، وتوجّه نحو تقاربٍ غير مسبوق مع إسرائيل ربما يفوق بمراحل ما كانت عليه الحال في أيام مبارك. كما أنّ الأمر لم يقتصر على حالة "الإطراء" السياسي المتبادل الذي تصاعد بين السيسي ومنتياهو خلال الشهور

³ "السيسي يقول حل القضية الفلسطينية يجعل السلام 'مع إسرائيل' أكثر دفئاً"، رويترز، 2016/05/17، شوهد في 2016/07/13، في: <http://ara.reuters.com/article/topNews/idARAKCN0Y8185>

الأخيرة⁴، بل تجاوز ذلك كلّه إلى خطواتٍ ملموسةٍ بادر إليها الجانب المصري منذ مدة، وكان أبرزها إعادة السفير المصري إلى تل أبيب، بتعيين الدبلوماسي حازم خيرت سفيراً في منتصف 2015⁵، وإطلاق سراح عودة الترابين الذي أُدين بالتجسس لمصلحة إسرائيل قبل 15 عاماً⁶. هذا، فضلاً عن تدشين مبنى جديد للسفارة الإسرائيلية في القاهرة، ضمن حالة نشاط لافتة لحركة السفير الإسرائيلي في القاهرة، حاييم كورين، الذي أثار أزمة داخلية حين قام بزيارة أحد أعضاء البرلمان المقربين من النظام في قريته بوسط الدلتا⁷.

ويمكن القول إنّ تقارب نظام السيسي مع إسرائيل بدأ منذ الساعات الأولى للانقلاب الذي وصفه عاموس جلعاد، رئيس الدائرة السياسية والأمنية في وزارة الحرب الإسرائيلية، بـ "معجزة أمنية لإسرائيل"؛ ففي آب / أغسطس 2013، وصل وفد أمني إسرائيلي إلى القاهرة، التقى قيادة الجيش المصري، وفقاً لهدفٍ أعلن في بيان الزيارة، وهو التأكيد من تواصل التعاون الأمني بين الجانبين⁸. وعلى الرغم من أنّ السيسي التقى نتنياهو لأول مرة على هامش قمة باريس للمناخ في كانون الأول / ديسمبر 2015⁹، فقد بينت تقارير إخبارية إسرائيلية أنّهما قد ظلّا

⁴ بحسب ما نقلت الصحافة الإسرائيلية عن السيسي في لقائه بقيادات المنظمات اليهودية في الولايات المتحدة، أثنى السيسي على نتانياهو واصفاً إياه بأنه "تو قدرات قيادية عظيمة، لا تؤهله وحسب لقيادة دولته وشعبه، بل إنها كفيلاً بأن تضمن التطور للمنطقة والتقدم للعالم بأسره"، انظر: Gil Ronen, "A-Sisi said Netanyahu has 'great powers'," *Arutz Sheva*, 14/02/2016, accessed on 13/07/2016, at: <http://www.israelnationalnews.com/News/News.aspx/208023>

⁵ "القاهرة تعين سفيراً لها في تل أبيب لأول مرة منذ 3 أعوام"، *روسيا اليوم*، 2015/06/21، شوهد في 2016/07/13، في: <https://goo.gl/QeXxuy>

⁶ محمد شعلان، "التلفزيون المصري: الإفراج عن الجاسوس الإسرائيلي عودة الترابين"، *اليوم السابع*، 2015/12/10، شوهد في 2016/07/13، في: <http://goo.gl/93YwRh>

⁷ وصفت الصحافة الإسرائيلية كورين بأنه "... بعدما كان حبيساً خلف أسوار السفارة خلال عهد مبارك، أصبح من جلساء الرئيس في عهد السيسي، ويلتقيه عدة مرات!"، وعلى صعيد آخر، توالت زيارات قيادات الصف الثاني لوزارة الخارجية الإسرائيلية ومنهم دوري غولد وكيل الوزارة في القاهرة، انظر: معتر أحمد إبراهيم، "توفيق عكاشة يستقبل السفير الإسرائيلي في منزله"، *الأهرام*، 2016/02/25، شوهد في 2016/07/13، في: <http://gate.ahram.org.eg/News/862346.aspx>

⁸ نظراً لحساسية الموضوع في لحظة الانقلاب، فرضت إسرائيل صمتاً إعلامياً على هذا التعاون الأمني لرفع الحرج عن السيسي، الخطوة التي أثارت بدورها حفيظة الصحف الإسرائيلية، حتى إنّ أحد المعلقين احتج على أنّ الرقابة العسكرية الإسرائيلية قد فرضت - بطلب من النظام المصري على حدّ تعبيره - هذه القيود، وبات هناك حظٌّ شبه مطلق على كامل التفاصيل الخاصة بالتعاون الأمني مع مصر، انظر: عمرو عبد الله، "السلام الدافئ" للسيسي حلقة جديدة في حبل الود مع إسرائيل"، *مصر العربية*، 2016/05/19، شوهد في 2016/07/13، في: <http://goo.gl/mpir8k>

⁹ Barak Ravid, "Netanyahu and Egypt's Sisi Shook Hands in Paris for the First Time," *Haaretz*, 03/12/2015, accessed on 13/07/2016, at: <http://www.haaretz.com/israel-news/.premium-1.689922>

على اتصال وتنسيق دائمين منذ لحظة تولّي السيسي الرئاسة قبل ما يربو على العامين. ويصف تقرير لموقع "وَلَا" الإسرائيلي السيسي بأنه أحد أكثر المسؤولين الأجانب تواصلًا عبر الهاتف مع نتنياهو بصورة غير معلنة¹⁰. ويمكن قراءة إيفاد وزير الخارجية شكري إلى إسرائيل في هذا السياق وفي هذه الأوضاع بوصفه خطوة أخرى نحو توثيق العلاقات مع إسرائيل وتطبيعها الذي تتسارع خطواته وتتكشّف أبعاده بمرور الوقت.

رهانات ملتبسة

وفقًا لياثير لايبند النائب في الكنيست عن حزب "يش عتيد"، فإنّ "المصالح المشتركة المتمثلة بمكافحة الإرهاب تخلق فرصةً لتسوية، ما يسمح بتشكيل محور يضمّ الدول المعتدلة في منطقة الشرق الأوسط". وتأتي عملية الربط المشار إليها بين إقامة محور أمني يضمّ الدول العربية "المعتدلة" مع إسرائيل وبين وعودٍ بتسوية مفترضة غير واضحة المعالم للقضية الفلسطينية في إطار السعي للاستفادة من وجود توافق دولي على محاربة الإرهاب¹¹. في هذا السياق، تراهن إسرائيل على تكرار سيناريو "مسيرة مدريد" لإعطاء الانطباع بوجود فرصة للتسوية نتيجة لظرف أمني ضاغط وتوافق دولي بضرورة التعاون بين دول المنطقة لمواجهة مخاطر كبرى، وينتهي الأمر كما في كلّ مرة بتحقيق الغايات الدولية والإسرائيلية، بينما تغوص التسوية في تفاصيل وترجمات لا تنتهي، تستمر خلالها سياسات تغيير الواقع على الأرض بالاستيطان والاستيلاء على الأراضي وتغيير ديموغرافية المكان.

هذا على الجانب الإسرائيلي، أمّا على الجانب المصري، فيستفيد نظام السيسي من هذا التوافق في تسويق نفسه دوليًا بوصفه قلعة للاعتدال في مواجهة التطرف، كما أنّه يكسب بذلك دعم إسرائيل واللوبي الإسرائيلي في واشنطن لإصلاح ما فسد في العلاقة مع القوى الكبرى في العالم منذ الانقلاب على المسار الديمقراطي

¹⁰ كانت للسيسي علاقة بالقيادات الأمنية الإسرائيلية منذ عهد المجلس العسكري، وحتى خلال العام الذي قضاه وزيرًا للدفاع في خلال رئاسة الرئيس السابق محمد مرسي، انظر: أحمد بلال، "معاريف": 'السيسي' يحتفظ بعلاقات جيدة مع كل القيادات الأمنية في إسرائيل"، المصري اليوم، 2012/08/13، شوهد في 2016/07/13، في: <http://www.almasryalyoum.com/news/details/156946>

¹¹ Yossi Melman, "Three's company: Israel, Turkey, and Egypt," *Jerusalem Post*, 02/05/2016, accessed on 13/07/2016, at: <http://www.jpost.com/International/Balancing-Egypt-and-Turkey-443943>

في مصر. وواقع الأمر أنّ إسرائيل تضطلع منذ انقلاب 3 تموز / يوليو 2013 بمهمة تسويق السيسي في واشنطن بوصفه حليفاً في مواجهة المخاطر التي تتعرض لها إسرائيل؛ بحيث أكد أعضاء لجنة الخارجية والأمن التابعة للبرلمان الإسرائيلي برئاسة الليكودي تساحي هنغبي، خلال زيارتهم أخيراً العاصمة الأميركية واشنطن أمام صنّاع القرار والمشرعين الأميركيين، أهمية الدور الإيجابي الذي يقوم به نظام السيسي في مواجهة الإرهاب¹². وكانت إسرائيل بذلت جهداً كبيراً لدى دوائر صنع القرار في الولايات المتحدة لكي تتجنب واشنطن وصف ما حدث في مصر في تموز / يوليو 2013 بالانقلاب العسكري، وهو ما يعني - بحسب القانون الأمريكي - أن توقف أميركا الدعم الذي ترسله إلى مصر كون حكومتها حكومة انقلاب عسكري¹³.

وفي إطار سعيه لتحقيق تقارب مع الولايات المتحدة عبر البوابة الإسرائيلية، ولمكافأة إسرائيل على "مساعيها الحميدة" في أميركا والغرب بصورة عامة، ذهب النظام المصري إلى حدود غير مألوفة سابقاً في التعاون الأمني معها في سيناء، وصولاً إلى مطابقة المواقف بينهما إزاء حماس. وخلال محاضرة في مدينة بئر السبع يوم 6 شباط / فبراير 2016، كشف يوفال شتاينتس وزير البنية التحتية في الحكومة الإسرائيلية، والعضو المراقب في المجلس السياسي - الأمني المصغر، والمسؤول السابق عن تنسيق أعمال المخابرات، أنّ مصر تعمل على هدم أنفاق غزة وإغراقها بناءً على طلب إسرائيل، واصفاً التنسيق الأمني الراهن بين الطرفين بغير المسبوق، فهو وفقاً له "الأفضل منذ توقيع اتفاق كامب ديفيد في 1979".

وفي السياق نفسه، يمكن أيضاً فهم السماح بدخول إسرائيل على خط أزمة سقوط الطائرة الروسية، سواء بالصمت على دورها في تتبّع مكالمات عناصر تنظيم الدولة التي استندت إليها المخابرات البريطانية والأميركية في ترجيح

¹² صالح النعامي، "تقديرات إسرائيلية: السيسي طلب من عكاشة رمي 'بالون الاختبار'، العربي الجديد، 2016/03/03، شوهد في 2016/07/13، في:

<https://goo.gl/7zYn2X>

¹³ Barak Ravid, "Israel Urged U.S. Not to Halt Aid to Egypt," *Haaretz*, 09/07/2013, accessed on 13/07/2016, at: <http://www.haaretz.com/israel-news/.premium-1.534651>;

وللمزيد عن صور التطبيع المستمرة، انظر: "عكاشة لم يأت بجديد: النظام المصري الحالي غارق في التطبيع"، نون بوست، 2016/03/03، شوهد في 2016/07/13، في: <http://goo.gl/j5D0Ad>

سقوط الطائرة بعمل إرهابي¹⁴، أو حتى القبول بمشاركتها في أعمال البحث عن الحطام¹⁵. ولم تكن معلومات التعاون العسكري في سيناء محلاً للإخفاء والتعتيم، بدءاً من تقديم إسرائيل الدعم للجيش المصري في سيناء الذي "يتمثل بالصواريخ الاعتراضية والمعلومات الأمنية عن المسلحين هناك"، ومساهمة مصر في مساعي منع تهريب السلاح إلى قطاع غزة عبر الأراضي السودانية¹⁶، وصولاً إلى قيام إسرائيل بعمليات "قنص" منتهمين إلى تنظيمات جهادية في سيناء، بطائرات من دون طيار (درونز) بموافقة مصرية¹⁷. إضافةً إلى التعاون الأمني غير المسبوق، دعمت مصر طلب إسرائيل منحها عضوية لجنة الاستخدامات السلمية للفضاء الخارجي التابعة للأمم المتحدة، في حين لم يكن هناك أيّ ضغوط لاتباع هذا السلوك التصويتي.

خاتمة

لا علاقة لزيارة وزير خارجية مصر إسرائيل بتسوية شاملة كما جرى الترويج لها، ولا بقضية فلسطين، فكلّ عوامل انطلاق هذه التسوية غائبة بدءاً بموازين القوى على الأرض، وواقع الانقسام الفلسطيني وصولاً إلى انشغال الأميركيين بانتخاباتهم الرئاسية؛ فقضية فلسطين تُستخدم أداةً إعلامية فقط. وحتى في هذا السياق فإنّ إسرائيل أيدت التحرك المصري وفضلته على الفرنسي بوصفه لا يستند إلى أيّ مرجعية دولية. وما يمكن أن تسفر عنه هذه الجهود هو تبادلٌ للأسرى بين حماس وإسرائيل، يخدم حاجة نتنياهو إلى مكاسب سياسية آنية بينما يفتح

¹⁴ تضم استخبارات جيش الاحتلال الإسرائيلي وحدة تُعرف باسم 8200، تنشط جنباً إلى جنب مع وحدات تابعة للشاباك (جهاز الأمن الداخلي في إسرائيل) والموساد في أعمال التنصت وفكّ الشفرات في سيناء، بحجة الوقاية من عمليات الإرهاب المتصاعدة فيها، انظر أيضاً: معتز بالله محمد، "بالتفاصيل.. خبير إسرائيلي: هكذا سقطت الطائرة الروسية"، *مصر العربية*، 2015/11/10، شوهد في 2016/07/13، في: <http://goo.gl/7GXMTL>

¹⁵ كشف هذا الأمر آفيخاي أدري المتحدث باسم الجيش الإسرائيلي عبر حسابه الرسمي في "تويتر" في يوم الحادث بقوله: "منذ الصباح ساعد جيش الدفاع من خلال طائرة استطلاع بعمليات البحث عن الطائرة الروسية كما عرض مساعدة إضافية لروسيا ومصر لو تطلّب الأمر، انظر:

Gili Cohen, "Israeli Army Offers Egypt Help in Russian Plane Crash", *Haaretz*, 31/10/2015, accessed on 13/07/2016, at: <http://www.haaretz.com/israel-news/1.683382>

¹⁶ "معاريف: السيسي وفر على إسرائيل عمليات عسكرية"، *الجزيرة نت*، 2016/01/12، شوهد في 2016/07/13، في: <http://goo.gl/UnrteG>

¹⁷ محمد مقلد وخالد الأمير، "مصدر أمني: طائرة إسرائيلية تقصف قاعدة صواريخ في رفح.. وتقتل 5 إرهابيين"، *الوطن*، 2013/08/09، شوهد في 2016/07/13، في: <http://www.elwatannews.com/news/details/249352>

المجال أمام نظام السيسي لاستعادة العلاقة مع واشنطن، من بابٍ يبدو مضموناً، وهو خدمة مصالح إسرائيل الأمنية وتقديم نفسه بوصفه عدواً لوداً للتطرف الإسلامي، وهي بضاعة تبدو سوقها مزدهرة هذه الأيام في الغرب. خلافاً لذلك، يبدو تصوّر حدود أوسع للدور المصري صعباً خلال هذه المرحلة؛ على مستوى استعادة التوازن إقليمياً في مواجهة القوى غير العربية التي يتضخم دورها على حساب الدور العربي، وعلى مستوى الحفاظ على متطلبات الأمن القومي المصري نفسه أيضاً. وحتى التحرك المصري المستجدّ على صعيد الوساطة الفلسطينية الإسرائيلية، غداً مرهوناً بإرادة قوى إقليمية أخرى بات بمقدورها إلزام التحركات المصرية بسقف محدد لا تستطيع تجاوزه. والاتفاق التركي - الإسرائيلي الأخير بشأن غزة مثالٌ على هذه الحقيقة.